عبد القادر الحسيني.. رجل الكيمياء والمسدس

(أنتم خائنون ومجرمـون وسيسـجل التـاريخ أنكم أضـعتم فلسـطين) (السـيد الأمين العـام لجامعـة الــدول العربيــة أني أحملكم المســئولية بعــد أن تركتم جنودي في أوج انتصـاراتهم بـدون عـون او سلاح)

عبد القادر الحسيني 7 أبريل 1948

<u>درس كيمياء بالحجاز</u>

جلس عبد القادر مع أطفال الحجاز والذي تـتراوح أعمـارهم من الثامنـة الى الخامسـة عشـر وكـان سؤالهم الأول

- ما الكيمياء
- الكيميـاء في كـل شـئ المـاء الـذي نشـربه يتكــون من الهيــدروجين وهــو غــاز متفجــر وبسببه انفجر منطاد المانيا فوق أمريكا عــام 1937 ويتكون من الاكسجين وهـو غـاز أيضـا يحب النـار ولكن الاثـنين معـا يشـكلان المـاء الذي نشربه
- يعنى يمكن تحضير هذه الغازات من الماء
- نعم وأيضـا الملح يتكـون من الصـوديوم وهـو عنصـر متفجـر لـو وضـعته في المـاء يشـتعل

والكلور السـام ومـع ذلـك الاثـنين معـا الملح الذي لاغني عنه في الطعام

- ماذا سنتعلم اليوم
- الكيمياء ليست مجـرد مـواد غريبـة، بـل مثـل الخطط العسكرية؟ كل خطوة لها سبب وكل تفاعـل لـه أثـر والان سنصـنع بركـان صـعير ولكن أولا نضع العناصر المطلوبة (بيكربونات الصـــوديوم + خـــل + لـــون طعـــام) والان اسكبوا المواد داخل الجبل الذي صنعناه

الأطفال يسكبون الخـل على الصـودا ويـرون فوران الرغوة في دهشة وسعادة

- الخل يتفاعل مـع الصـودا ? يطلـق غـاز ثـاني أكسيد الكربون تحـدث فقاعـات ولـو أضـفنا بعض الصابون سيبصح المشهد أظرف
- في المعارك كما في الكيميـاء، بعض الأشـياء تتغير عندما تـدخل مـع بعضـها... لـنرى كيـف تتغير الألوان

الأطفال يخلطون المواد ويشاهدون تغيير لـون الماء تدريجيًا ثم يشرح لهم الأحماض والقواعــد (الليمــون حمض... الصــودا قاعــدة... وعنــدما يلتقيان... يحدث سحر الألوان)

يــدخل رجــل يرتــدي زي أهــل الحجــاز ويتوجــه مباشــرة نحــو عبــد القــادر ولايتحــدث الا بجملــة واحدة

- وصلت رسالة من مفتي القدس ستذهب الى المانيا قريبا

في صحراء العلمين

بعد عودة عبد القادر من المانيا كان قد أضاف الى معرفته الكثير في علم المتفجرات والذخيرة ولكن بدون مصانع وبدون دعم لم يكن شئ ليفعله وبعد رفض جامعة الدول العربية تزويده بالسلاح والدعم المطلوب لم يجد سوى صحراء العلمين وبقايا الذخيرة والأسلحة المتبقية خلال الحرب ورغم خطورة المهمة حتى للمتخصصين الا انه استطاع بسهولة تجميع فريق من الشباب المصري والعربي من العلميين للذهاب واستخلاص المادة المتفجرة من بقايا القنابل والذخيرة والالغام

- أنت صنعت متفجرات من قبل واستخدمتها
- صحيح الديناميت في قرية الخضر مع قافلة انجليزية ولكن اصابتي كانت مميتة ولولا رجال جيش الجهاد لما هربت من المستشفي الى سوريا
- ثم العراق ثم الحجاز ثم المانيا ثم مصر
- ثم فلسطين
- وماذا بعد فلسطين

عبد القـادر يصـمت قليلا ثم يـرد – ثم الجنـة إن شاء الله

يشـــير الى خريطـــة ممـــدودة على الأرض، يثقـــل أطرافها حجران صغيران ثم يكمل

- العلمين الان مخـــزن مهجـــور هنـــاك أشـــياء لم تنفجـــر، لكنهـــا مـــا زالت تحمـــل نارهـــا المـــادة المتفجـرة هي مـادة تخـزّن طاقـة كبـيرة داخلهـا وعندما تتحرر هذه الطاقة فجأة يحـدث ضـغط + حرارة مثل بالون منفوخ جدًا

- ولكن المتفجرات تقتل

- المهمـة خطـيرة ولا أجـبر احـد على الاسـتمرار معي فحتى المتخصصـين قـد يفقـدوا حيـاتهم في مهمة مثل هذه

- ماذا تقول يا عبد القادر نحن هنا من أجل النصر أو الشـــهادة ومـــا نفعلـــه أقـــل القليـــل من أجـــل فلسطين

يشير الجميع بالايجاب

يكمل عبد القادر – حسـنا داخـل كـل مـادة توجـد ذرات وجزيئات بينهـا روابـط كيميائيـة في المـواد العاديـة الروابـط مسـتقرة الطاقـة تخـرج ببطء (مثـــل احـــتراق الخشـــب) في المـــواد المتفجـــرة الروابط غير مستقرة وعندما تنكسر تطلـق طاقة

والقنبلة عبارة عن 3 أشياء أساسية مادة متفجرة مثل TNT وصاعق او فتيل وهو المسئول عن تفجير المادة المتفجرة وأخيرا الميقاتي المسئول عن توقيت التفجير

- هل درست ذلك في الجامعة الأمريكية

يرد زميل لعبد القادر بالجامعة

- درسنا (الكيمياء العامة - الكيمياء التحليلية وهناك مختبرات عملية حقيقية ونتعامل مع المواد للقياس والتحليل) ولكن ليس لتصنيع متفجرات والتعامل معها

- أيها الابطال ستكون مهمة صعبة وربما مميتة ولكن لا أمل لنا سوى هذه الصحراء بعد أن تخلى الجميع عن فلسطين

لحسن الحظ تم تجميع كميات من المواد المتفجرة والخامات المطلوبة دون اصابات باستثناء حادث واحد والقى عبد القادر القنبلة بعيدا قبل أن تنفجر ولكن مر الأسبوع بسلام مع قنابل والغام العلمين وعاد عبد القادر الى مصر بينما أخبرهم الشباب بأنهم يتدربون في معسكرات الفدائيين للاستعداد للذهاب في القريب العاجل ما لم يتم القبض عليهم طبعا.

وافترقوا على ضحكات حزينة على حال الوطن والعالم العربي

معركة القسطل

بدأت عملية نخشون (الأفعي) بقيادة بن جوريون بالقسطل لأهميتها الجغرافية على ارتفاع 800 متر وقريبة من القدس ومن يسيطر عليها ويضع مدافعه يتحكم في كل شئ وبعد فشل عبد القادر الحسيني في الحصول على السلاح قرر أن يحارب بما لديه وأن يكون في المقدمة مع 60 من رجال هم كل جيش الجهاد المقدس بسلاح من الحرب العالمية الأولى ومدفع هاون وقنبلتين وكان الصهاينة قد احتلوا المرتفعات بالفعل وانشئوا برج لاقتناص المهاجمين لذا قرر عبد القادر الهجوم ليلا أولا بمفرده لتدمير البرج وفتح الطريق لباقي الفريق للهجوم ولكن تعطلت قنبلة فطلب من رفيقه العودة لاصلاحها وأكمل هو وشاهد الجميع البرج يشتعل وطلقات نيران رشاشات ومدافع الهاون فانطلقوا كالسهام نحو عبد القادر الحسيني والذي كان قد استشهد ومع صلاة الفجر وصل الخبر للأهل الفلسطيني فاسرع الجميع نحو القسطل بكل ما يملك من سلاح حتى لو كانت عصا أو سكين وهرب الصهاينة بعد أن قتل منهم أكثر من 350 واستولى جيش الجهاد على القسطل وكان كل

المطلــوب من أي جيش عــربي أن يحضــر دون اطلاق رصاصـــة واحـــدة ليضـــع مدافعـــه علي القسطل ويتحكم في المنطقة بالكامل ولكن هذا لم يحـدث بـل مـا حـدث كـان العكس وسـحبوا الســلاح من جيش الجهــاد والأهــالي وفي وقت لاحـق تم سـجن الفـدائيين الـذي حـاربوا لتحريـر فلسطين ليسجل التاريخ صفحة سوداء في تـاريخ الإسلام والعروبة ولكنها على كـل حـال لن تكـون الصفحة الوحيدة

أفيدن وبن جوريون

صـاح بن جوريـون – أغبيـاء لا مواجهـة مـع أهـل فلسـطين أنتم رجـال قتـل لارجـال قتـال كيـف وصلوا اليكم

- صمت شـمعون أفيـدن قائـد الفرقـة قليلا ثم قــال – تفاجئنــا بهم أمامنــا وقتلــوا 350 من رجالنـا فـأمرت بالقـاء قـذائف الهـاون عليهم وانسحبنا عند هجوم الأهالي ولا خسـرنا لـواء هرئيل لواء غفعاتي معا
- الان هم مشغولين بدفن عبد القادر والفرصـة لمجزرة دير ياسـين مناسـبة من ترشـح قائـد للعملية
- ميكي روزنفيلد مع لواء إرجون ولواء شــتيرن (ليحي)

- أرجو الا يهزمهم أطفال دير ياسين بالطوب
- أطمئن ستكون مجزرة يتحـدث عنهـا التـاريخ لقرون ولن تكون الأخيرة
- وليست الأولى أيضا مات عبـد القـادر وسـيتم القبض على رجاله وكل رجال المقاومة مثلما حدث مع القسام من قبل
- والجيوش العربية

يضحك بن جوريـون – الجيـوش العربيـة جيـد أنك ذكرتني كنت سانساها هل تعلم أنـني في بداية الحرب العالمية الأولى في أمريكا اجمع لتبرعــات من أجــل الجيش العثمــاني ضــد انجلترا وفرنسا

- أعرف ذلك ولم أصدقه
- أنهــا الحقيقــة نحن اليهــود لــو نــرى عــدل ومساواة مثل التي رايناها مع المسـلمين كنـا نعامل كأوبئـة في أوربـا وفي بلاد المسـلمين كنا ملوك وفي الـوقت الـذي كنت اجمـع فيـه تبرعـات لجيش المسـلمين كـانت الجيـوش العربية تتحالف مـع الانجلـيز ضـدهم وقـدمت لهم ما لم يحلموا به ما عدا العراق
- لــذا هزمــوا الحلفــاء في قــوت العمــارة وجاليبولي بعد ذلك

- صحيح فلا تقل لي الجيوش العربية فلسطين وحدها والقدس كذلك وستبقي كذلك لفترة طويلة
- وماذا عن أحاديث نبيهم التي يؤمنون بها
- أصدقها أكثر من المسلمين أنفسهم ونزرع شجر الغرقد من الان ولكن ليس مع هذا الجيل وربما الذي بعده أيضا والان الى دير ياسين لا يزال لديك الكثير من العمل.

يسرع للخارج بينما يهمس بن جوريون ساخرا

- الجيوش العربية

12 سنة

نظرت الى أبني حمزة متعجبا وهو ممسك بكتاب عن فلسطين وأحسست وكأنه يتحدث الى شخص ما ولكن الغريب أن حمزة بالفعل كان في حوار مع رجل يقف بجواره وكان حمزة يسأله

- هل درست مع الصهاينة وأنت في المدرسة

- لا من أين عرفت ذلك؟

- كنت في المدرسة الرشيدية ثم صهيون

يضحك - مدرسة صهيون نسبة الى جبل صهيون وليس الى الحركة الصهيونية يجب أن تقرأ التاريخ وتفهمه

- أعرف وعد بلفور وسايكس بيكو ومعركة القسطل ومذبحة دير ياسين حدثت بعد استشهادك بيوم واحد

- ممتاز أنت مذاكر

- ولكن ماذا أفعل وأنا 12 سنة

- أشتريت مسدس وأنا في مثل سنك من أجل فلسطين ولكن يكفى أنك تفهم وتقرأ وتهتم

- حتى لو أمتلك المال لن أذهب الى الجامعة الأمريكية أعرف أنك مزقت شهادتهم

- الأيام تتغير والمهم أن تتعلم بشكل جيد وتتقن العديد من اللغات وبالمناسبة لقد حصلت على الشهادة بعد ذلك بسبب الضغوط الشعبية وساعدتني الكيمياء في تصنيع المتفجرات للعدو نحن في حاجة الى العلم والدين والأخلاق لنعود أقوياء ونحرر فلسطين

- هل يمكن أن يحدث ذلك أشعر أننا بعيد عن ذلك

- لا شئ يتغير ولكن أنت تتغير ويمكنك أن تغير كل شئ

- أنا لوحدي

- لقـــد قـــرأت عن جيش الجهـــاد المقـــدس في معركـة القسـطل كنـا 60 مقاتـل فقـط بأسـلحة ايطاليـة من الحـرب العالميـة الأولى ومسدسـات ومدفع هاون وقنبلتين

- والصـهاينة برشاشـات ومـدافع وقنابـل واعـداد أكبر

- ويحتلون مكان افضل ولكننا انتصرنا

- ولكنك استشـهدت وحـررت القسـطل وأضـاعها الجيش العربي وجامعة الدول العربية

- الخيانة في كل مكـان وزمـان المهم أن تسـتمر وتقاوم

- ولكننا خسرنا حرب 1948

- طالمـا أنت موجـود فالأمـل في النصـر موجـود ووعد الله والله لايخلـف وعـده.. مـا أخبـارك مـع الصلاة

- بعد قليل ساستعد لصلاة العصر

ناديت على حمـزة فـالتف لي وسـالته عن حديثـه فضحك وأخـبرني بأنـه يتحـدث الى الكتـاب تـاريخ فلسطين ثم سألني بدهشة

- هل يزال هناك أغبياء يقولون أن أهل فلسطين باعوا أرضهم
- وأسوا من ذلك ولكن ماذا نفعل سوى الدعاء والصلاة والحديث عن فلسطين
- استطيع فعل الكثير
- أنت 12 سنة ماذا ستفعل
- 12 سنة عبد القادر الحسيني اشتري مسدس وهو12 سنة وحارب في فلسطين
- من أين عرفت تلك المعلومة؟
- من الكتاب

وتركني وانصرف ليتوضا لصلاة العصر وأخذت أبحث في الكتاب عن المعلومة التي ذكرها دون فائدة

(أشعر أن اخواننا العرب في الخارج أخذوا يتخلون عن الثورة ومساندتها)

عبد القادر الحسيني 1936

(أنا ذاهب إلى القسطل... ولو لم يكن معي غير بندقية واحدة، نحن نقاتل بما نملك، لا بما نحتاج سنموت واقفين ولا نعيش راكعين)

عبد القادر الحسيني 1948

(كان عبد القادر يقاتل كأنه جندي، ويخطّط كأنه جيش)

مقاتل من معركة القسطل

(عبـد القـادر الحسـيني أخطـر رجـل عـربي في القدس، ليس لأنه يملـك السـلاح، بـل لأنـه يملـك الناس)

ضابط بريطاني

(بموته خسر العـرب قائـدهم الوحيـد القـادر على توحيد القدس)

أفيدن شمعون

(هـذه الجامعـة تظهـر أمـام النـاس في مظهـر المدرسة العلمية، لكنها في الحقيقة تعمل لإفساد العقائـد، وتبث في عقـول الشـباب سـمومًا ضـد أمّتنا... أجـل، سـأعبِّر عن احتجـاجي بكـل صـدق، لأنـني أرى أنَّ هـذا المكـان لا يـربّي أبنـاء العـرب على عزّتهم وكرامتهم)

عبد القادر الحسيني حفل تخـرج الجامعـة الأمريكية 1932

(والله يـا باشـا إذا تـردّدتم وتقاعسـتم عن العمـل فإنّكم ستحتاجون بعد 15 أيار إلى عشرة أضعاف ما أطلبه منكم الآن، ومع ذلـك فـإنّكم لن تتمكّنـوا من هـؤلاء اليهـود..أشـهد اللـه على مـا أقـول، وأحمّلكم سـلفًا مسـؤولية ضـياع القـدس ويافـا

وحيفا وطبرية وأقسام أخرى من فلســطين، إنّكم تخونون فلسطين... تريدون قتلنا وذبحنا)

عبـد القـادر الحسـيني أثنـاء الحـديث مـع رئيس جامعة الدول العربي عبــد الــرحمن عزاز ولجنة الدفاع عن فلسطين بالجامعة